

قصة قصيرة

مها سيد عبدالرحمن

قعر جهنم

الفصل الأول

بعينين زائغتين وأنفاس متلاحقة وشعرٌ أشعث مغبر وملابس ممزقة تكسوها بقع الدماء، ظل يركض بلا توقف وسط رمال الصحراء الممتدة بلا نهاية أمام عينيه، وصوت الصرخات ترنُّ في أذنيه لا يعلم إن كانت حقيقة أم خيال؟!، وأمام عينيه تتراقص صور متداخله لا يستطيع تمييز مدى واقعيتهما من عدمه فكل شيء بالنسبة له في تلك اللحظة ممكن الحدوث! لا مكان للامعقول أو المستحيل بعد كل ما عاشه، رغم ضعفه الشديد وارتجافة قدميه التي يبذل جهداً خرافياً للسيطرة عليها إلا أنه تابع ركضه في إصرار دون أن يلتفت للوراء ولو لثانية واحدة، لكن عقله أبى أن يتركه يواصل الفرار فقد أعياه الإجهاد الشديد، ظهرت أمامه تلك الخيالات الواحدة تلو الأخرى، لم يكن ضوء القمر الهزيل كافياً ليراها بوضوح، اختلج جسده في عنف وقد أدرك أنها حقيقة ليست خيال كما كان يتمنى، إنهم هنا بالفعل يرونه كما يراهم، يتقدمون باتجاهه بخطوات سريعة، لا مجال للعودة إلى ذلك الجحيم ثانيةً، صرخ صرخة مدوية ارتج صداها لأمتار عدة صرخة تحمل كل العذاب والألم الجاثم على قلبه في تلك اللحظة، صرخة تبعها انهيار تام فقد خارت قواه واستسلم في يأس لنهايته المحتومة فسقط أرضاً مغشياً عليه وهو يتمنى أن يموت قبل أن يعيدوه ثانية إلى "قعر جهنم"!!!!!!!!!!!!

مرت ثلاثة أيام وهو في حالة من الهذيان يتمتم بكلماتٍ غير مفهومه كلما استعاد وعيه ثم ما يلبث أن يفقده ثانية وقد فقد إدراكه كلياً بما يحدث حوله، حتى صباح اليوم الرابع، سمع صوت خطواتٍ تقترب منه فأغمض عينيه متظاهراً بالنوم وهو ينصت للحديث الدائر على بعد خطواتٍ منه بكل حواسه:

- "وماذا بعد؟؟ إلى متى سنظل نخدمه هكذا بلا فائدة؟ حالته لا تتغير ولا نعلم ما وراءه ولا حجم المصائب التي قد يجلبها إلينا؟!"

- "ليس الأمر بأيدينا فهي أوامر الحاج خليفة ويجب علينا تنفيذها وهو وحده المسئول عن عواقبها"

زمجر في امتعاض قائلاً:

- "فلنطيع أنت أو امره كما شئت! أما أنا فقد سئمت"

ثم تركه وانصرف، سمع يوسف صوت خطواتٍ تقترب منه كثيراً فتواثبت دقات قلبه، ثم هدأ قليلاً حينما أتاها صوت الرجل يخاطبه بنبرة هادئة وهو يحاول إيقاظه قائلاً:

- "يا هذا استيقظ! لقد أحضرت لك بعض الطعام لم تأكل شيئاً يذكر منذ ثلاثة أيام"

فتح يوسف عينيه ببطء وهو يتأمل ملامح وجهه في حذر فبادره الرجل بابتسامة دافئة قائلاً:

- "حمداً لله على سلامتك، أنا أسعد"

ثم أمسك بذراعه محاولاً مساعدته على النهوض حتى اعتدل يوسف في جلسته وهو يقاوم ذلك السعال الشديد الذي انتابه فجأة، ناوله أسعد كوباً من الماء فسارع بشربه وقد كان الظمأ ينهش جوفه، وبعد أن انتهى قال بصوت محشرج يكاد يغادر حلقه:

- "شكراً لك يا أسعد، أنا يوسف"

- "لا شكر على واجب يا يوسف، سأذهب لأخبر الحاج خليفة سيفرح كثيراً بخبر استعادتك لو عليك"

ثم سارع بالانصراف، جذب يوسف صحن الطعام الذي كان به بعض الأرز ونصف دجاجة وجعل يأكل بلا توقف.

دلف إلى الغرفة رجل مسن طويل القامة، كث الحاجبين، يظهر من تحت عمامته شعر أبيض كثيف، يتكئ على عصا، ثم تبعه مسرعاً أسعد وهو يحمل كرسيّاً خشبياً وضعه بالقرب من يوسف الذي كان يرقد على سرير خشبي متهالك، جلس الحاج خليفة وابتسم قائلاً بصوته الرخيم:

- "حمداً لله على سلامتك يا ولدي، أنا خليفة كبير بدو الرشيدة، عثر عليك بعض رجالي وأنت في حالة يرثى لها وأحضروك إلى هنا، اطمئن أنت هنا في أمان وستظل ضيفنا حتى تقرر الرحيل بنفسك"

لم يشعر يوسف بهذا القدر من الأمان منذ بدأ تلك الرحلة المشئومة فقال في امتنانٍ بالغ:

- "لا أعرف كيف أشكرك يا حاج خليفة أنا حقاً مدين لك بحياتي"

أجابه الحاج خليفة بابتسامه دافئة قبل أن يتنحى ويتخذ صوته نبرةً أكثر جديه وهو يقول:

- "والآن يا ولدي أريد أن أسمع حكايتك وماذا كنت تفعل في ذلك المكان وحدك؟"

تغيرت ملامح وجه يوسف وارتعدت أوصاله على نحوٍ أثار دهشة الحاج خليفة ما أن تذكر ذلك الكابوس الذي عاشه، ونظر نحو أسعد في ارتباكٍ شديد، فهم الحاج خليفة ما يريده فالتفت نحو أسعد واستأذنه في مغادرة الغرفة، ظل يوسف يراقب انصراف أسعد عن كثب حتى تأكد من مغادرته، ثم اقترب من الحاج خليفة وقال هامساً:

- "ما سأخبرك به الآن خطير إلى درجةٍ لا يمكنك تصورها! كان من المفترض ألا أخبر به أحداً طيلة حياتي لكني لا أقوى على الاحتفاظ بذلك الحمل الثقيل وحدي! لذا أرجوك عدني ألا تخبر أحدٌ بحرف واحد مما سأخبرك به!"

أثارت كلماته قلق الحاج خليفة، فقال في جديةٍ بالغة:

- "أعدك يا ولدي!"

أخذ يوسف نفساً عميقاً محاولاً السيطرة على انفعاله واستجمع قواه وبدأ يحكي له كل شيء من البداية!!!!

قبل ثلاثة أسابيع.....

- "ها نحن قد اجتمعنا! أخبرنا ما ذلك الأمر الهام الغير قابل للتأجيل الذي تريدنا فيه؟!"

قالها يوسف في عصبية مخاطباً حازم الذي أجابه بنبرةٍ تحمل الكثير من الزهو المزوج بالحماس:

- "لقد وجدتها! تلك الفكرة التي بحثنا عنها طويلاً والتي ستغير مجرى حياتنا تماماً وتنقلنا إلى عالم الشهرة والنقود"

تبادل كل من زياد وأمجد نظرة سخرية مصحوبة بضحكة مكتومة دون ان يعقبا بحرف بينما ضرب يوسف يده باليد الأخرى وهو يقول ضاحكاً:

- "ألن تتوقف عن هذا العبث الذي سيصيبك بالجنون قريباً! كل بضعة أيام تذهلنا بفكرة أكثر جنوناً من سابقتها وجميعها محض أوهام لا طائل منها؟!"
قاطعهم أمجد مازحاً:

- "دعه يكمل أرجوك فأنا أتحرق شوقاً لسماع فكرته الجديدة لأضحك قليلاً"
عقد حازم ساعديه أمام صدره وهو ينقل نظره بينهم ثم قال في جدية:
- "هل انتهيت؟! أيمكنني استكمال حديثي أم لازالت لديكم بعض التعليقات الساخرة تودون إضافتها؟"
أجابه زياد بنفاذ صبر:

- "تابع أرجوك أريد الانصراف سريعاً"
اعتدل حازم في جلسته واستطرد حديثه قائلاً:
- "منذ فترة وأنا تشغلني فكرة إنشاء قناة على اليوتيوب بعدما سمعت عن الأرباح الوهمية التي تحققها تلك القنوات، لكن المحتوى الذي يمكننا تقديمه لجذب ملايين المشاهدين هو ما كان يشغلني حتى وجدته أخيراً!"
ثم ازدادت نبرة صوته علواً واتقدت عيناه حماساً وهو يتابع:

- "سنقوم بعمل رحلات استكشافية إلى أماكن خطيرة لم يسبق لأحد الذهاب إليها! وسنحرص على تصوير كل ثانية نعيشها خلال تلك الرحلات، إن نجحنا في فعل ذلك فلن نجذب ملايين المشاهدين المحلية فقط بل قد يتطور الأمر لتنتشر المقاطع التي سنقوم بتصويرها إلى جميع أنحاء العالم"

قالها وجلس يراقب ردة فعلهم التي لم تكن سوى ضحكات انفجرت في وجهه على نحوٍ أزعه كثيراً، ثم قال يوسف:

- "وكيف سنصل إلى تلك الأماكن يا ذكي؟! ومن أين سنعلم بوجودها من الأساس؟!"

أخرج من جيبه ورقة مطوية ثم فردها ووضعها أمامهم على الطاولة المستديرة التي اعتادوا الالتفاف حولها لسماع أفكاره المجنونة، أثارت الورقة فضولهم فاقتربوا منها والفضول يقتات على رؤوسهم لقراءتها، ابتسم في انتصار وهو يقول:

- "بحثت كثيراً عن مكان كهذا يكون بداخل بلادنا، حتى قادتني المصادفة إلى إحدى صفحات الفيسبوك تديرها فتاة تدعى ريهان مولعة بالسفر والاستكشاف ولديها الكثير من المعلومات عن أماكن تتناسب تماماً مع ما أريد فعله، تواصلت معها ودار بيننا حديث طويل استمر على مدار أيام عدة، كانت نتيجته هذه الخريطة الموجودة أمامكم!"

دققوا النظر في الخريطة الموضوعة على الطاولة فلم يلفت انتباههم شيئاً سوى تلك الدائرة الحمراء التي لم يفهموا إلى ماذا تشير تحديداً، استطرد حازم حديثه قائلاً:

أخبرتني ريهان أنها كانت في رحلة قريبة إلى الواحات البحرية كما اعتادت الذهاب إلى هناك بين الحين والآخر، ولديها صلات قوية ببداية المنطقة الذين على دراية تامة بكل شبر فيها، عرفت من أحدهم سر خطير لا أحد منهم يجروء على الإفصاح عنه بسهولة لكنها دفعت له مبلغاً لم يكن يحلم به مقابل ذلك السرّ"

أمعن حازم النظر في وجوه ثلاثتهم مستمتعاً بنظرات الاهتمام التي تطل من أعينهم ثم أردف قائلاً:

- "في بقعة نائية بقلب الصحراء السوداء، بقعة لا يعلم بوجودها سوى من يقوى على حفظ السر، هنا تحديداً"

ثم أشار بإصبعه إلى تلك الدائرة الحمراء على الخريطة وهو يتابع قائلاً:

- "توجد حفرة عميقة تعرف بـ "قعر جهنم!"

الفصل الثاني

نجح حازم تماماً في إثارة فضول كل من يوسف وأمجد وزياذ فطلت أعينهم متجمدة عليه وهو يروي لهم ما أخبرته به ريهان عن الحفرة التي تعرف بـ "قعر جهنم" بداخل الصحراء السوداء، لم ينبس حدهم ببنت شفه بينما تابع حازم حديثه قائلاً:

- "ما أخبر الرجل به ريهان عن قعر جهنم كان مجموعة من الحكايات التي سمعها من أجداده وتناقلها بعض رجال قبيلته في تكتم شديد وخوف بالغ من أن تصل إلى من لا يدرك مدى خطورتها، لكنه لم يكن يصدقها ويظن أنها مجرد خرافات لا أكثر لذلك لم يتردد ثانية في بيعها لمن قد يهتم لأمرها، ما رواه لريهان عنها أنها حفرة عميقة تمتد لأمتار عدة في باطن الأرض لا أحد يعلم مدى عمقها تحديداً، فلم يسمعوا عن أحد نجح في النزول إليها والعودة منها حياً سوى شخص واحد، كان أحد أفراد قبيلتهم، أخبرهم بأنه سمع أصوات لم يسمع مثيلاً لها من قبل وصرخات تثير الهلع في النفوس وتعرض لهجوم شديد كاد يسلبه حياته لكنه لم ير مصدره بسبب الظلام الحالكة الذي كان يحيط به بداخلها، ونجح بمعجزة حقيقية من الخروج منها حياً لا يعرف هو نفسه كيف حدث ذلك، لكن لم يكن ما قاله الرجل هو مصدر خوف قبيلته الأوحى بل أن ما حدث له بعد عودته كان أكثر رعباً بكثير، فقد كان يرى أشياء لا يراها أحد سواه وتظهر على جسده آثار تعذيب تصاحبها صرخات ألم لا يوصف رغم أنه لم يبرح مكانه، وظل على تلك الحالة عدة أسابيع حتى ساءت حالته كثيراً، وقبل موته بأيام أخبر أحد أقاربه بأن كل ما يحدث له بسبب نجاحه في الخروج من هناك حياً، وإن تكرر ذلك ثانية فسيكون انتقامهم دامياً، بعدها بأيام وُجد مقطوع الرأس في منزله ولم يعلم أحد من فعل ذلك به حتى الآن!"

ازدرد يوسف ريقه في صعوبة وهو يحاول استيعاب ما سمعه للتو وإن كان عقله يرفض تصديقه كلياً، ثم عقب قائلاً:

- "فأنت إذاً تطلب منا النزول إلى تلك الحفرة وتعريض حياتنا للخطر لنكتشف بأنفسنا حقيقة ما يحدث فيها؟؟!"

قاطعه أمجد في حماس:

- "أنا موافق! أعجبتني الفكرة للغاية ونجحت في إثارة فضولي إلى الحد الذي يدفعني للذهاب إلى هناك في أقرب وقت"

بينما قال زياد في شرود:

- "لا أعتقد أن تلك الحكاية يمكن أن تكون حقيقية، قد يكون الرجل تعرض لهجوم من حيوانٍ مفترس أرعبه إلى الحد الذي أفقده عقله وجعله يهذي بتلك الحكايات وما حدث له بعد ذلك هو مجرد كذبه اختلقها أحدهم استكمالاً لتلك القصة الخرافية التي تناقلتها القبيلة، وإجمالاً لا أرى الفكرة سيئة ولا مانع لدي في الذهاب إلى هناك!"

حدّق يوسف في ثلاثتهم بذهول وهو يقول في انفعال:

- "هل جننتم؟؟! أتريدون المغامرة بأرواحكم في سبيل تحقيق بعض المشاهدات؟؟!"
قاطعته حازم محاولاً تهدأته:

- "ليس الأمر بتلك الخطورة يا يوسف، ولا تنس أن تلك الحادثة إن كانت حقيقية فقد حدثت منذ زمنٍ بعيد، أما الآن إن نزلنا إلى هناك فسنقوم بعمل احتياطات أمانٍ كبيرة أخبرتني عنها ريهان لن نترك المجال لتعريض أحدٍ منا لأي خطرٍ لا سمح الله"

ردّ عليه يوسف في عصبية قائلاً:

- "ولماذا لم تذهب ريهان وحدها إذن إن كان الأمر آمناً إلى تلك الدرجة؟!"

- "لم تجرؤ على فعل ذلك وحدها وحاولت إقناع ذلك الرجل من القبيلة بالنزول معها لكنه رفض بشدة، وهي مستعدة لمرافقتنا إن ذهبنا وستكفل بتحضير كل الأدوات اللازمة لتلك الرحلة"

ران صمت مطبق عليهم لفترة ثم نهض يوسف مغادراً وهو يقول:

- "ليس الأمر بتلك البساطة أحتاج للتفكير جيداً والبحث عن أي معلومات تتعلق بما يجري في تلك المنطقة أولاً قبل أن أخبركم بقراري"

بعد مرور نحو أسبوع، اجتمعوا ثانية لاتخاذ القرار النهائي فيما ينوون فعله، خلال ذلك الأسبوع كان يوسف قد بحث كثيراً عن أي شيء يتعلق بتلك المنطقة لكنه لم يعثر على أدنى أثر لمعلومة تفيد بصحة تلك القصة أو ما شابها، مما زاد من حالة الاطمئنان بداخله واقتناعه بأنها مجرد أكاذيب اختلقها أحدهم بل وربما يكون ذلك الرجل من القبيلة هو من فعل ليخدع ريهان ويحصل منها على بعض النقود لا أكثر، وأيقن في قرارة نفسه بأن ذهابهم إلى هناك سيكون مجرد تضییع وقت لا فائدة منه وقد يكون لا وجود لمنطقة كهذه من الأساس، فاتخذ قراره بمرافقتهم حتى يصبح شاهداً على لحظة الصدمة واكتشاف الخدعة التي سيعيشونها هناك ويسخر منهم إلى الأبد.

اتفقوا أخيراً على الذهاب، واتصل حازم بريهان ليتفق معها على موعد الرحلة وتحضير الترتيبات اللازمة لذهابهم، وبعد أسبوعين انطلقوا هم الخمسة نحو الواحات البحرية ليقابلوا الرجل الذي أخبر ريهان عن حفرة "قعر جهنم" ليساعدهم -والذي يدعى سليمان- على الوصول إلى هناك مقابل مبلغاً ليس قليلاً بالمرة.

ساروا بداخل الصحراء السوداء لفترة ليست بالقليلة قبل أن يطلب منهم سليمان النزول من السيارة وأخذ جميع حقائبهم وأدواتهم معهم، ثم ساروا خلفه وهم يتأملون تلك الجبال المغطاة بطبقة من المسحوق الأسود والصخور لتضفي عليها مظهراً مهيباً يثير الرهبة في النفوس، وهي سبب تسميتها بهذا الاسم، تابعوا السير حتى وصلوا إلى منطقة التلال البركانية السوداء والتي ثارت منذ عصور ماضية وأخرجت مادةً بركانية تتكون منها الصخور السوداء التي تتواجد في تلك المنطقة، ثم صعد سليمان إلى هضبة مرتفعة قليلاً وهم يتبعونه، وأشار بيده إلى وادٍ سحيق في منتصفه بقعة سوداء، وهو يقول:

- "هذه هي حفرة "قعر جهنم"! بإمكانكم الوصول إليها وحدكم لن أقترّب أكثر"

أثارت كلماته الذعر في قلب يوسف فقد كان يتمنى أن تكون مجرد كذبه وألاً يصلوا إليها أبداً، لكن حين رآها بدأ الخوف يدب في قلبه، ولم يكن ذلك حال يوسف وحده بل كان حالهم جميعاً حين وقعت أنظارهم عليها بما فيهم سليمان الذي سيطر عليه شعورٌ مفاجئ بالندم على ما يفعله والخوف من نتائجه، لكنه قرر الهروب فانصرف

مغادراً في عجلة وهو يصارع حالة شديده من الارتباك وعدم الارتياح الممزوجة
بفرع لا يعلم سببه.

أخذ حازم نفساً عميقاً محاولاً السيطرة على انفعاله وإخفاء توتره، تأمل ملامح
الارتباك التي تظهر جليةً على وجوه كل من يوسف وأمجد وزباد وكذلك ريهان
رغم كونها الأكثر حماساً بينهم، ثم قال متظاهراً بالشجاعة:

- "هيا بنا! دقائق معدودة وسنصل إليها، نريد أن نبدأ التصوير فور وصولنا، نظروا
إليه بعيونٍ شارده ولم يعقب أحدهم على كلامه بحرف، فنزل عن الهضبة وتابع
سيره نحوها وهم خلفه يتبعونه في صمتٍ مهيب وكان على رؤوسهم الطير، حتى
وصلوا إليها أخيراً!

أخرج أمجد الكاميرا وقام بتصوير حازم الذي تظهر من خلفه حفرة يزيدها عن
15 متراً في مشهدٍ مذهلٍ ومخيفٍ على حدٍ سواء، بينما جعل حازم يشرح ما ينوون
فعله، ثم أوقف أمجد التصوير مؤقتاً حتى يتسنى لهم الاستماع إلى ريهان التي أخذت
تشرح لهم خطة النزول إلى الأسفل قائلةً:

- "سننزل معاً في وقتٍ واحد، سنقوم بتثبيت بكرات الحبال أولاً على حواف الحفرة
من الخارج بشكلٍ دائري حتى يتسنى لنا استكشاف المكان من جميع الاتجاهات أثناء
نزولنا، وسينزل كل واحدٍ منا من اتجاه، ستساعد الإضاءة المثبتة على خوذاتنا نحن
الخمس في رؤية تفاصيل الحفرة من الداخل، أما التصوير فهو مهمة أمجد عبر
الكاميرا التي سأقوم بتثبيتها في خوذته مؤقتاً"

هزّ أمجد رأسه موافقاً بعينين تتقدان حماساً، ثم تحرك كل منهم إلى ناحية من الحفرة
الدائرية ليقوم بتثبيت بكرات الحبل الخاصة به، وبعد أن انتهوا جميعاً قامت ريهان
بمساعدة حازم بالتأكد من تثبيتها جيداً في الأرض، قبل أن يبدأوا بمعاونة كل من
يوسف وأمجد وزباد في غلق الخطاطيف الموجودة في أطراف الحبال بإحكام بعد
إدخالها في الحلقات المعدنية المثبتة بالأحزمة الخاصة التي يرتديها كل منهم
استعداداً للنزول، وقف ثلاثتهم في انتظار حازم وريهان حتى ينتهوا من تثبيت
الحبال بأحزمتهم أيضاً، ثم أعطت ريهان إشارة البدء للنزول!

مشاعر مختلطة بين الخوف والحماس والإثارة شعر بها كل منهم أثناء قفزه نحو
المجهول بداخل تلك الحفرة التي لم يكن يخطر ببال أحدهم ما تخفيه بداخلها وسط
ذلك الظلام الدامس الذي يمتد أمام أعينهم بلا نهاية!!!!!!

الفصل الثالث

دقائق انقضت منذ بدأوا بالنزول داخل حفرة "قعر جهنم"، ران عليهم صمت مطبق وكل واحد منهم يرتجف قلبه بين ضلوعه كلما فكر في النظر إلى الأسفل، حاولوا جاهدين التركيز على إضاءة المنطقة المحيطة بكل منهم ليتمكنوا من تصوير المشهد بكل تفاصيله، سارت الأمور على ما يرام لفترة لا بأس بها فزاد الاطمئنان بداخلهم قليلاً، ثم قام حازم بتجاذب أطراف الحديث والمزاح معهم حتى يخفف من ارتباكهم بعض الشيء، لكن ذلك لم ينجح مع يوسف الذي كان يرتعد خوفاً، يأبى عقله تصديق ما يفعله في تلك اللحظة، يحدق في ريهان بتعجب من ضحكاتها التي يرتج صداها في المكان ويحدث نفسه في استغراب:

- "كيف هو قلب تلك الفتاة بالضبط؟ أهو من حديد؟ أم تكون بلا قلب من الأساس؟!"

تابعوا النزول وهم يتحدثون وأمجد مستمر في تصوير ما يدور بينهم، بينما حافظ يوسف على صمته وتأمله في المكان من حوله بحذرٍ شديد طيلة الوقت، وبينما هو يدير نظره في جدار الحفرة اتسعت عيناه في فزع حينما لاحظ شيئاً يتحرك بسرعة باتجاه حازم الذي كان منهمكاً في الحديث قبل أن ينقطع حديثه بغتةً ويختفي من أمامهم تماماً، أطلقت ريهان صرخة مجلجلة، ودب الذعر في قلب كل من أمجد ويوسف وزياذ الذي ظل ينادي على حازم بلا توقف لكن دون إجابة، لم يكن بمقدور أحدهم الاقتراب من مكان حازم للبحث عنه والتحقق مما أصابه فكل واحدٍ منهم يبعد عن الآخر عدة أمتار، أصبح الخوف هو سيد الموقف، اقترح زياد التوقف عن النزول والاتجاه للأعلى للخروج في الحال بينما عنفه في عصبية كل من يوسف وأمجد لتفكيره في التخلي عن حازم الذي قد يكون في أمس الحاجة لمساعدتهم الآن، وأثناء جدالهم فوجئوا بريهان تتابع النزول بسرعة كبيرة، صاح يوسف في انفعال:

- "ماذا تفعلين أيتها المجنونة؟! ستقتلين نفسك هكذا!"

ثم تبعها بالنزول بنفس السرعة يليه كل من زياد وأمجد، كادت قلوبهم تتوقف فزعاً حينما سمعوا صوت صياحها يملأ المكان في غضون دقائق معدودة وهي تقول في انفعالٍ جارف:

- "أرض!! إنها أرض لقد وصلنا إلى قاع الحفرة!!!"

أثارت كلماتها الدهشة الممزوجة بالفرح في نفوسهم، وسارعوا بالنزول حتى
لامست أقدامهم الأرض، أخذ أمجد يهتف في سعادة:

- "لقد فعلناها!!!"

بينما رمقه زياد بنظرة تشي بالكثير من القلق الذي ينقر جوفه، ثم التفت نحو يوسف
فوجده منهمكاً بالبحث عن حازم، لم يتوقف عن التحرك في المكان جيئةً وذهاباً وهو
يغمغم:

- "إن كان قد سقط فمن المفترض أن نعثر عليه هنا!"

لم يشأ الحديث عما لمح قبيلاً اختفاؤه، كان يتمنى أن تكون مجرد أوهام لا أكثر،
انضموا إليه في البحث جميعهم لكن بلا جدوى، ثم صاح زياد في انفعال:

- "انظروا!!!!"

اقتلعتهم صيحته من أماكنهم وركضوا نحوه وأعينهم مثبتة في ذهول على تلك
الأنفاق المتشعبة أمامهم، تبادلوا نظرات الدهشة قبل أن تقول ريهان:

- "سنقوم أولاً بتثبيت الحبال هنا، ثم سنذهب معاً للبحث عن حازم"

أتمت عبارتها ثم أخرجت من حقيبتها حلقة معدنية ضخمة ذات طرف يشبه المسمار
وقامت بتثبيتها في الأرض جيداً ووضع طرف الحبل المثبت بحزامها فيها، وكذلك
فعل ثلاثتهم حتى يتمكنوا من الحركة بحرية، ثم قال زياد:

- "سنسير في الأنفاق معاً لا يجب أن نفترق أبداً، وسندخل في كلٍ منها الواحد تلو
الآخر حتى نعثر على حازم"

وافقوه جميعهم وساروا معاً نحوها.

كان المكان موحشاً للغاية رغم إضاءة كشافاتهم التي حرصوا على تسليطها في كل
أرجائه خشية أن يباغتهم حيوانٌ مفترس أو أي كائن قد يسكن مكان كهذا، سار
يوسف وريهان في المقدمة بينما تبعهم زياد وهو يدير ظهره نحوهم حتى يتسنى له
إضاءة المكان من الخلف تحسباً لأي مفاجئات، بينما تابع أمجد تصويره للمشهد
برمته، ظل الصمت يحكم قبضته عليهم وهم يبحثون في كل مكان عن أي أثرٍ

لحازم، وفجأة ارتعدت أوصالهم عندما اخترق آذانهم صوت خطواتٍ تقترب منهم، تلفتوا حولهم بحثاً عن مصدره لكنهم لم يعثروا على أثرٍ لأي شيء مما زاد حالة الفرع التي تعثر بهم، توقفوا مكانهم وهم يسلطون الأضواء على كل شبرٍ من الجدار والسقف المحيط بهم بلا جدوى حتى دوت صرخة مروعة من ريهان عندما وجدته يقف أمامها مباشرة لا تعلم من أين ظهر صاحبت في ذهول والكلمات ترتجف على شفتيها:

- "حازم؟!... من أين جئت؟ وأين كنت؟!"

أثاها رده مقتضباً:

- "لقد سقطت وتجولت قليلاً بالمكان بحثاً عن مخرج"

قاطعها أمجد في تعجب:

- "كيف حدث ذلك؟ لقد تبعناك بعد دقائق معدودة ولم نعثر لك على أثر!"

رمقه حازم بنظرة حادة بترت الكلمات على شفتيه، بينما لم يتوقف يوسف عن تفرس ملامحه لحظة واحدة، وشعوراً مريب يتصاعد في داخله، لم يعقب حازم على حديث أمجد واستدار قائلاً بنبرة صارمة:

- "اتبعوني!"

ثم سار بخطواتٍ سريعة، أمسك زياد بذراع يوسف وهو ينظر إليه نظرة تشي بالكثير، بادلته يوسف النظر ودار بينهما حوار صامت لم يفهمه أو يشعر به أحد سواهما، ثم تابعا السير خلف حازم وريهان التي سارعت باتباعه فور تحركه ولحقها أمجد المشغول بتصوير المكان.

سار حازم بخطواتٍ واثقة بداخل النفق المتشعب وكأنه يحفظه عن ظهر قلب، استوقفه يوسف بقوله:

- "إلى أين تأخذنا يا حازم؟! وكيف تستطيع السير بداخل الأنفاق بهذه الدقة وكأنك تعرفها جيداً؟!"

استدار نحوه حازم، وهو يرمقه بنظرة جامدة وشبح ابتسامة ترتسم على شفتيه قائلاً:

- "لقد عثرت على مكانٍ سيعجبكم كثيراً وصلت إليه بالمصادفة، والطريق إليه لا

يحتاج إلى حفظ لقد سلكنا اتجاه اليسار في كل مفترقٍ قابلناه ليس في الأمر أي داعٍ للاستغراب"

رغم أن كلامه بدا منطقياً للغاية، إلا أن شعور مريب يتزايد بداخل يوسف كلما مرّ الوقت، فقرر التوقف عن السير بصحبته، ثم قال بجديّة:

- "لا نريد الذهاب إلى أي مكان! سنغادر هذه الحفرة في الحال!"

فاجأ حديثه الجميع فقاطعته ريهان في حدة:

- "ماذا تقول؟! لم نتكبد كل ذلك العناء لنعود هكذا! لقد جننا لاستكشاف الحفرة وسنتابع ما جننا لأجله، إن أردت العودة فعُدّ وحدك!"

ابتسم حازم في ظفر، بينما هزّ يوسف رأسه موافقاً وهو يقول:

- "حسناً سأعود وحدي! هل سيرافقني أحد؟"

قالها وهو ينقل نظره بين زياد وأمجد، أجابه أمجد بلا تردد:

- "سأبقى مع ريهان وحازم"

ثم تعلقت أنظارهم جميعاً باتجاه زياد في انتظار قراره الأخير الذي لم يستغرق وقتاً طويلاً لاتخاذها:

- "سأعود مع يوسف!"

قالها وتحرك بضع خطواتٍ باتجاه يوسف، عقت ريهان موجهةً حديثها نحو حازم وأمجد:

- "هو شأنهما فلنتابع سيرنا"

ودون كلمةٍ إضافيةٍ تابعا سيرهما خلف حازم، بينما سار كل من يوسف وزياد في الاتجاه المعاكس في طريقهما نحو الخروج من الأنفاق.

بعد أن ابتعدا قليلاً استوقف يوسف زياد قائلاً:

- "أنا لا أريد الخروج من هنا كما أخبرتهم"

هزّ زياد رأسه موافقاً وهو يقول:

- "أعلم ذلك! تريد الابتعاد عن حازم"

ابتسم يوسف في ارتياح واستطرد حديثه:

- "في الأمر شيء مريب ولا بد من معرفته"

تساءل زياد قائلاً:

- "وماذا سنفعل الآن؟"

- "سنعود إلى المكان الذي قابلنا فيه حازم ثم سنسير في الناحية الأخرى، إن كان حازم قد سلك اتجاه اليسار فسنسلك نحن اتجاه اليمين"

- "وكيف سنعلم أننا قد وصلنا إلى ذلك المكان"

- "لقد حفرت علامات على الجدران خلال سيرنا سترشدنا إلى الطريق لا تقلق"

ثم تابعا سيرهما بلا توقف حتى وصلا إلى العلامة عند المفترق الذي ظهر فيه حازم، ثم بدأ بالسير في الاتجاه المعاكس وهما يسلكان اتجاه اليمين في كل مفترق يقابلهما، حتى وصلا إلى كهفٍ واسع يصعب تصديق وجوده في مكان كهذا، يرتفع سقفه عن الأرض كثيراً، سارا إلى داخله بحذرٍ شديد وهما يشعران بارتفاع ملحوظ في درجات الحرارة يتزايد كلما ساروا بداخله أكثر، وفجأةً تعثر زياد بشيء في الأرض فسلط عليه ضوء كشافه لينخلع قلبه من بين ضلوعه عندما وقعت عيناه على جمجمة بشرية، أمسك به يوسف خشية أن يسقط من بشاعة المنظر، ثم تابعا سيرهما والتوتر يتصاعد بداخلهما إلى الحد الذي أفقدهما القدرة على السيطرة على أنفاسهما المتلاحقة، ثم تابعا سيرهما في بطءٍ شديد وهما يديران كشافاتهما في المكان في خوفٍ بالغ!

انطلقت من حلق يوسف شهقة عالية تحمل كل فرع الدنيا وهو يتأمل تلك الرأس المقطوعة التي يسقط عليها ضوء كشافه وزياد يصرخ في هلع صرخة مدوية ارتج صداها في أرجاء المكان قائلاً:

- "حازم!!!!!!!!!!!!!!"

الفصل الرابع

أيقن يوسف أن شكوكه بشأن حازم الذي كان برفقتهم منذ قليل كانت حقيقية تماماً حينما وقعت عيناه على رأس حازم صديقهم المقطوعة ملقاةً على الأرض، تصارعت بداخله المشاعر بين حزنه على صديقه وخوفه من المصير الذي ينتظرهما هو وزياذ الآن، وبين ما قد يواجهان ريهان وأمجد بصحبة ذلك الشيء الذي يرافقانه في تلك اللحظة! لم يعلم بأن صرخة زياد كانت إشارة البدء لمعركة غير متكافئة على الإطلاق بينهم وبين سكان حفرة "قعر جهنم"!!!!

حاولت ريهان عدة مرات تجاذب أطراف الحديث مع حازم، لكنها فوجئت بأنه يتجاهلها تماماً وكأنه لا يسمعها، يسير بلا توقف في صمتٍ مريب، ثم توقف فجأةً والتفت إلى الوراء وكأنه قد سمع شيئاً ما، لمعت عيناه على نحوٍ مخيف قبل أن تابع سيره مسرعاً، اقترب أمجد من ريهان وهو يهمس قائلاً:

- "لقد بدأت أشعر بالخوف! تصرفات حازم غريبة للغاية"

أومأت برأسها موافقة وهي تقول:

- "نعم أوافقك الرأي تماماً!"

التفت إليهما حازم وكأنه سمع حديثهما، فارتجفا خوفاً وهما ينظران إليه بأعين يطل منها الخوف والريبة على حد سواء، فابتسم قائلاً:

- "لقد أوشكنا على الوصول، حاولا ألا تتحدثا حتى نصل"

زوت ريهان بين حاجبيها في تعجب، ولم تشأ مجادلته فقد كان الخوف بداخلها قد وصل مبلغه وهي لم تعتد هذا الشعور مطلقاً فلطالما تحدثت نفسها وقهرت خوفها مراراً، لكنها لا تعلم لماذا هذه المرة تحديداً لا تستطيع فعل ذلك، تابع حازم سيره بضع أمتار إضافية حتى دخلا إلى كهفٍ صغير، ما أن خطو بداخله بضع خطوات حتى قال أمجد في سخط:

- "ماذا؟؟؟ هذا هو المكان الذي سيعجبنا والذي سرنا كل تلك المسافة من أجل

الوصول إليه؟! ما هذا الهراء؟!"

تبدلت ملامح حازم على نحو اختلجت له كل ذرة في كيان كل من ريهان وأمجد
وازداد صوته غلظة وهو يقول:

- "إن اردتما الخروج من هنا أحياء فلا تبرحا مكانكما حتى أعود!"

قالها واختفى من أمامهما تماماً! وتركهما يرتعدان هلعاً!

بعد تلك الصرخة المدوية التي انطلقت من حلق زياد حين وقعت عيناه على رأس
حازم، شعرا هو ويوسف بحركة في المكان رغم أنهما لا يريان شيئاً مطلقاً،
اختلجت أجسادهما في ذعر والتصقت أكتافهما ببعضها وهما يتأملان كل شبر في
محيط تواجدهما تأهباً لتلك المصيبة اللذان أصبحا على يقين تام باقترابها كثيراً
منهما، ثم اخترقت آذانهما أصوات همهمات غير مفهومه تدور حولهما فأصبحا
بدورهما يدوران حول نفسيهما بحثاً عن مصدرها، وفجأة سقط زياد أرضاً وهو
يصرخ في ذعر تام مستنجداً بيوسف الذي ما أن أدار كشافه نحوه ليرى ما أصابه
حتى وجده يُسحب للخلف بسرعة كبيرة، انطلق يوسف راكضاً محاولاً اللحاق به
لكن لم تمض ثوان حتى اختفى من أمامه تماماً، أخذ يلتفت حوله في ذعر بحثاً عنه
ويركض في كل اتجاه أملاً في العثور عليه لكن بلا جدوى، وقبل أن يفقد أعصابه
كلياً، لاحظ ضوء خافت في ركن بعيد من ذلك الكهف الواسع، تحرك في اتجاه
الضوء بأنفاس متقطعة من فرط الانفعال وهو يجر قدميه جراً، ولسانه لا يتوقف عن
تلاوة كل آيات القرآن الكريم التي حفظها طيلة حياته، بدأ يلاحظ أعين حمراء تلمع
وسط الظلام يزداد عددها كلما تابع سيره نحو الضوء حتى وصل إلى مصدره،
كانت حفرة صغيرة في أرض الكهف، أنزل رأسه فيها وهو يدير نظره مستكشفاً
مصدر ذلك الضوء، لكنه تراجع في هلع حينما أدرك أنها مجرد فتحة صغيرة في
سقف يفصله عن أرض سحيقة تمتد لأمتار طويلة أسفل الكهف الذي يقف بداخله
تنبعث منها أضواء حمراء خافتة، غمغم في خفوت محدثاً نفسه:

- "ما هذا المكان؟!"

لم يكد يتم عبارته حتى شعر بألم شديد يعتصر قدمه اليمنى فأدرك أن شيئاً ما يحاول
سحبه، عمل عقله بأقصى طاقته بحثاً عن وسيلة للمقاومة لكن الوقت كان أضيق

بكثير من أن يسمح له بذلك، تزايدت من حوله تلك الهمهمات إلى حد وصل لدرجة تشبه الصراخ وقبل أن يستوعب عقله ما يجري من حوله وجد نفسه يهوي في عنف لترطم رأسه بالأرض بقوة أفقدته وعيه في الحال!!!!

ظل أمجد وريهان يتلفتان حولهما بحثاً عن حازم وعقليهما يأبيان استيعاب اختفائه المفاجئ، ثم أمسك أمجد الكاميرا بعصبيه شديده وقام بتشغيل الفيديوها الأخيرة التي قام بتصويرها منذ ظهور حازم، اتسعت عيناه في فزع وهو يضع يده على فمه ويصيح قائلاً:

- "رباه!"

انتزعت صيحته ريهان من مكانها وسارعت بالاقتراب منه وانتزاع الكاميرا من يده لكي ترى بنفسها سبب تلك الحالة التي تعترى أمجد، ثم شهقت في فزع وهي تراهم يتحدثون مع اللاشيء! فلا أثر لحازم في أيٍّ منها!

تبادلت مع أمجد نظرة تحمل حديثاً صامتاً يعترفان فيه بفهمهما المتأخر لما يجري، قبل أن يقول أمجد بصوتٍ مرتجف:

- "لم يكن حازم!"

ازدردت ريهان ريقها في صعوبة مع ما أثارته تلك العبارة بداخلها من فزع رغم إدراكها المسبق بحقيقة ما سمعته للتو، قالت في جدية:

- "يجب أن نخرج من هنا في الحال، محاولتنا للعودة من حيث أتينا تحمل مجازفة كبيرة قد تؤدي بأرواحنا، يبدو الوضع أخطر بكثير مما توقعنا، لذلك دعنا نبحث عن مخرج آخر"

حدق فيها أمجد بعينين زائغتين قائلاً:

- "ليس من المنطقي وجود مخرج آخر هنا، لا بد أن ذلك الشيء قد أحضرنا خصيصاً إلى هنا استعداداً لقتلنا"

أجابته ريهان في صرامة:

- "إذن يجب أن نتحرك بسرعة قبل عودته!"

استعاد يوسف وعيه وفتح عينيه في ببطء ينظر حوله، ثم انتفض جسد في قوة حينما وجد زياد يجلس على مسافة قريبة منه يحدق فيه على نحوٍ أثار الفزع في نفسه، ظلاً ينظران إلى بعضهما في ريبة دون أن يتفوه أحدهما بكلمة واحدة، ثم قطع يوسف ذلك الصمت المسيطر عليهما قائلاً بصوتٍ مرتجف:

- "زياد! هل أنت بخير؟!"

ظل زياد محدقاً فيه لوهلة قبل أن يجيبه:

- "نعم أنا بخير! لا أعلم ما الذي حدث سحبني شيء ما لم أستطع رؤيته خارج ذلك الكهف الواسع قبل أن يُغشى علي، وحينما استعدت وعيي وجدت نفسي هنا وانت ملقى على الأرض أمامي"

تمعن فيه يوسف قليلاً قبل أن يفاجأ بسؤاله:

- "ما هو لون سيارتي القديمة؟!"

ابتسم زياد وهو يجيبه في ثقة:

- "سوداء"

سارع يوسف بالاقتراب منه وهو يقول:

- "هل أنت حقاً زياد؟!"

أجابه قائلاً:

- "أنا أيضاً لم أصدق أنك يوسف حين رأيته، بل انني لم أصدق أنني لازلت على قيد الحياة من الأساس! لقد ظننت ان ذلك الشيء الذي سحبني من قدمي سيقتلني لا محالة"

هزّ يوسف رأسه موافقاً وهو يقول:

- "وأنا كذلك! لم أتوقع أن أفتح عيني ثانية، لكن من فعل ذلك يا ترى ولماذا؟"

أجابه زياد مسرعاً:

- "لا يهم أن نفهم شيئاً الآن! المهم أننا بخير دعنا نغادر هذا المكان بسرعة"

وفجأة قطع حديثهما صوت قادم من بعيد وكأنه شجار عنيف، تعالت ضربات قلوبهما وارتجفا في ذعر ثم اتخذا قرارهما بالانطلاق ركضاً دون اتفاقٍ مسبق، أطلقا العنان لقدميهما وهما لا يعلمان إلى أين سيذهبان؟! وأي طريقٍ يجب أن يسلكا، ظلا يركضان بلا هدى حتى تجمدت أقدامهما وكاد قلوبهما يخرجان من بين ضلوعهما وهما يريان رؤوس بشعة بلا أجساد تحيط بهما بأعينٍ حمراء بلون الدم تحرق فيهما على نحوٍ كفيل بأن يوقف قلوبهما إلى الأبد!!

الفصل الخامس

ظل أمجد وريهان يفحصان كل شبر بداخل ذلك الكهف الصغير أماً في العثور على أي طريق قد يقودهما إلى مخرج قريب لكن بلا جدوى، تنهدت ريهان في ضيق وقد أدركت أنه ليس أمامهما خيارٌ سوى العودة من حيث جاء، بادرها أمجد بسؤاله:

- "وماذا سنفعل الآن؟!"

أجابته في أسف:

- "يجب أن نعود إلى مكان الحبال فلا سبيل للخروج سوى الصعود للأعلى من حيث أتينا"

- "كنت على يقينٍ من ذلك"

- "هيا بنا يجب أن نتحرك سريعاً قبل أن يعود"

قالتها ريهان وانطلقا ركضاً بين ممرات الأنفاق المتشعبة بالرغم من عدم معرفتهما بطريق العودة الصحيح، فقد طغى خوفهما ورغبتهما في النجاة على قدرتهما على التركيز أو تذكر أي تفاصيل قد ترشدهما إلى الطريق الصحيح، ظلا ينتقلان من نفقٍ إلى آخر حتى وجدا نفسيهما بداخل كهفٍ واسع ينبعث ضوء أحمر خافت من حفرةٍ في أحد أركانها، فاتجها نحوها مسرعين ظناً منهما أنها قد تكون مخرجاً، لم يكن يخطر ببالهما ما سيرَيان فيها على الإطلاق!!!!!!

وقف يوسف وزیاد يرتعدان هلعاً وهما ينقلان أنظارهما بين تلك الأطياف التي هي مجرد رؤوس بشعة بلا أجساد! تشكل حلقةً في الهواء تحيط بهما وتحقق فيهما بأعينها الحمراء المفزعة، وفجأةً بدأت الرؤوس تدور حولهما بسرعةٍ هائلة، شعر يوسف وكأن شيئاً يمسكه من رقبتة ويسحبها للأعلى في محاولةٍ لانتزاعها من مكانها، بدأت أنفاسه تضيق وآلام مبرحة تنتشر في جسده وصوت صرخات زياد تخترق أذنيه قبل أن تتوقف تماماً، جحظت عيناه وشعر باقتراب موته لا محالة، ثم فجأةً تناثر على وجهه وذراعه سائل دافئ لم يستوعب عقله -الذي كان على وشك

فقدان الوعي- ماذا قد يكون؟ ثم اخترقت أذنيه همهمات غير مفهومة تعالت فجأة قبل أن يشعر بجسده يرتطم بالأرض في قوة بعدها أظلم كل شيء في عينيه تماماً!!!

بدأ يستعيد وعيه وعقله يجتر كل ما حدث في سرعه ففتح عينيه عن آخرهما يتلفت حوله، ثم أخرج كشافه الاحتياطي من جيبه وأضاءه مسرعاً وهو يصيح:

- "زياد أين أنت؟!"

انطلقت من حلقه شهقة عالية وقد تجمدت عيناه على ريهان التي تجلس أمامه تنتفض في هلع والدموع تغرق وجنتيها وتنظر إليه بمزيج من الخوف والاستعطاف، أثارت رؤيتها على تلك الحالة المزيد من الذعر في نفسه، فقام من مكانه متجهاً نحوها لكنه توقف شفقةً على حالها حينما لاحظ كيف ترتعد خوفاً وهي تراقبه كلما اقترب منها، ويزداد نحيبها على نحو زاد من حيرته ودهشته، فقال لها بنبرة حانية وقد تمزق قلبه شفقةً عليها من تلك الحال التي وصلت إليها:

- "لا تخافي يا ريهان أنا يوسف لست شبحاً أو أي شيء آخر قد تكوني رأيته في هذا المكان الملعون، اهدأي أرجوكي!!"

لاحظ شبح ابتسامه ترتسم على شفتيها المرتجفتين، شعر بأنها قد بدأت تصدقه وهدأت قليلاً، فاقترب منها بخطواتٍ حذرة وجلس بجوارها وهو يقول في خفوت:

- "أين أمجد؟!"

تراجع للوراء في دهشة وقد أدرك فداحة السؤال الذي طرحه على مسامعها للتو، حين وجدها تضع يديها على رأسها وجسدها يختلج في قوة وقد تضاعف نحيبها، سألت دمة حارة من عينيه حينما فهم ما حدث لأمجد، وضع كشافه على الأرض وأسند رأسه على الجدار وأطلق العنان لدموعه وهو يتساءل:

- "تري ألا زلت حياً يا زياد؟!"

اتسعت عيناه في هلع حينما وقع ضوء الكشف على ذراعه وملابسه ليجدها ملطخة بالدماء، كاد قلبه يتوقف فزعاً حينما خطر بباله أن تلك الدماء قد تكون دماء زياد!

شعر بخدرٍ في جسده وقد غلبه اليأس واعتصر قلبه الحزن والألم، ثم التفت في بطنه نحو ريهان التي قالت بأنفاسٍ متقطعة:

- "أمجد ذاب وتلاشى أمام عيني وكأنه لم يكن موجوداً ذات يوم!"

لم يفهم يوسف حرفاً مما قالتها، فقال مستفهماً:

- "ماذا قلتي؟!"

أجابته وهي لازالت ترتجف وترتجف كلماتها على شفثتها:

- "في ذلك الكهف الواسع حفرة يصدر منها ضوء أحمر خافت ظنناها مخرجاً وعندما حاول أمجد النظر بداخلها ظهر شيء لم أر له مثيلاً في حياتي من قبل! رؤوس بشعة ذات أعين حمراء مفزعة ومع ظهورهم شعرت بشيء يدفعني نحوها وكذلك أمجد الذي كان أقرب مني للحفرة، كان شيء ما يدفعه بقوة ليسقط فيها وهو يقاوم باستماته لكنه انتصر عليه في النهاية وسقط في قعرها وأنا أراه ما أن لامسه حتى ذاب تماماً، كان قعرها يشبه الحمم البركانية!!!!

لكنني فجأة سقطت أرضاً في قوة وشيء ما سحبني بسرعة هائلة وأنا أصرخ في هلع حتى فقدت وعيي وحينما فتحت عيني وجدت نفسي هنا ثانيةً بداخل هذا الكهف الصغير الذي جننا إليه أنا وأمجد بصحبة ذلك الشيء الذي تجسد في هيئة حازم، كنا قد قررنا الخروج منه والرجوع إلى مكان الحبال لنغادر هذه الحفرة الملعونة قبل عودته، فظللنا نسير بين الأنفاق حتى وجدنا أنفسنا بداخل ذلك الكهف الكبير، وحينما أضأت كشافي الإضافي الذي كان في جيبتي وجدتك أمامي والدماء تغرق وجهك وجسدك فظننتك ميتاً.

تتحنح يوسف في ارتباك قبل أن يقول بصوتٍ مرتجف:

- "لقد تأكدنا أنا وزياد من... موت حازم!"

شهقت ريهان في جزع وسالت دموعها الحارة في مرارة دون أن تحاول السؤال عما أصابه وكأنها لم تود معرفة إجابة ذلك السؤال من الأساس.

ألقي الصمت عباءته عليهما وكل منهما غارق في حزنه وخوفه يفكر فيما رآه وما ينتظره بداخل "قعر جهنم"، ثم فجأةً وجدا حازم يقف أمامهما، انتفضا في هلع وهو

يرمقهما بعينين مخيفتين تشعان غضباً، هبَّ يوسف واقفاً وهو يخفي ربهان خلفه محاولاً حمايتها وصاح في انفعال رغم أوصاله التي ترتعد ذعراً وصورة رأس حازم المقطوعة لا تفارق خياله:

- "أتركنا نغادر هذا المكان في سلام، لم نقصد اختراق عالمكم ولا ننوي إيذاءكم" أجابه ساخراً:

- "لن تستطيع حتى وإن كنت تنوي ذلك!"

بترت عبارته الكلمات على شفتي يوسف الذي ازدر ريقه في صعوبة في انتظار مصيره المحتوم، لكن ذلك الكيان المتجسد على هيئة حازم تابع حديثه قائلاً:

- "حاولت انقاذكم منهم مراراً لكنكم مزعجون، تصرون على الدخول في معركة لا قبل لكم بها!"

اتسعت عينا يوسف في دهشة قائلاً:

- "إنقاذنا؟؟ أنت!!! ومنهم؟؟! أنا لا أفهم شيئاً!"
رمقه بنظرة خاوية وهو يستطرد حديثه:

- "هذا المكان هو بوابة للجحيم! جحيم حقيقي قادم من باطن الأرض وله سكانه الذين يسكنونه منذ آلاف السنين، شياطين مردة، أما نحن فعشيرة أخرى سكنا هذه الأنفاق لسنوات لا نعلم عن وجودهم شيئاً، حتى سقط جزء ضخم من سقف الكهف الكبير فأحدث تلك الفتحة في أرضه، والتي لم تكن سوى بوابة إلى الجحيم، خرجوا منها إلينا وكانوا أقوى منا بكثير، ولأنني أنا الملك برقان كنت ملك عشيرتي وتفوق قدراتي قدراتهم لم ينجحوا في القضاء علي حتى الآن، لكني فشلت في حمايتهم ولم يتبقى منهم أحد، فاتخذت على نفسي عهداً ألا أبرح هذا المكان حتى أنتقم لعشيرتي وأقتل منهم قدر ما أستطيع، وهذا الكهف الصغير هو مكاني لا يجروئون على القدوم إليه لذلك كلما قاد شخص غباءه للنزول إلى هنا أحاول حمايته منهم بإبقائه داخله إن وصلت إليه قبلهم، وهذا ما حاولت فعله معكم، عرفت منذ اللحظة الأولى لنزولكم هنا أنها ستكون نهايتكم كما حدث مع أغلب من سبقكم، وكان ما حدث لحازم هو البداية فحسب!"

ظننتكم ستعودون من حيث أتيتم بعد اخفائه لكنكم أصررتن على متابعة النزول والسير في الأنفاق، فظهرت لكم لأصحابكم إلى هنا قبل أن يصلوا إليكم لكنك أنت وصديقك قلتما أنكما ستغادران فتركتكما وشأنكما، وقبل أن نصل إلى هنا سمعت صوت صراخ صديقك فأسرعت بإدخال الفتاة والشاب إلى الكهف وأخبرتتهما ألا يغادران المكان وعدت لإنقاذكما منهم"

قاطعته يوسف في ذهولٍ قائلاً:

- "أنت من سحبنا وأخرجنا من هناك؟!"

فأجابه بقوله:

- "نعم أنا! وأنا من أخرج الفتاة من هناك أيضاً ولو كانت هي والفتى قد التزموا بالبقاء هنا لما عرضوا أنفسهم للخطر والموت!"

- "ولماذا تساعدنا؟"

- "لا أريد أن تسيل المزيد من الدماء هنا! دماؤكم الحمراء تلك يتلذذون بها على نحوٍ يثير جنوني! حتى أنني أحرص بنفسي على تهديد وإرهاب كل من يخرج من هنا حياً حتى تكفوا عن النزول، وأعتقد أنني قد نجحت في ذلك فقد مرت سنوات طوال منذ رأيت إنساناً هنا لآخر مرة"

نظر إليه يوسف في ارتياحٍ وقد تذكر تلك القصة التي قصتها ريهان عليهم والتي أخبرها بها سليمان، ثم فاجأه بقوله:

- "ثم قتلتته بنفسك أليس كذلك؟!"

أجابه في برود:

- "هو من تسبب بذلك لنفسه، ساعدته ليخرج من هنا حياً وحذرتة ألا يخبر أحد شيئاً عن وجود هذا المكان، لكنه ماذا فعل؟؟ أخبر قبيلته بأكملها فلم تمض بضعة أيام على خروجه حتى توالى مجيأهم إلى هنا يدفعهم الفضول ليتحققوا من صدق روايته، لذلك توجب علي قتله حتى يتيقنوا من جدية ما أخبرهم به وينسوا أمر النزول إلى هنا تماماً"

قالت ريهان بصوتٍ ضعيفٍ منهك:

- "أرجوك ساعدنا على الخروج من هنا ونعدك بأننا لن نخبر مخلوقاً بمكان هذه الحفرة ولا ما يحدث فيها"

التفت نحوها قائلاً:

- "ليس الأمر بتلك البساطة الآن! فهم يعلمون بوجودكم وبالطبع سيسعون لقتلكما أثناء عودتكما نحو المخرج، وأنا لا أثق في قدرتي على حمايتكما حتى تصلان إليه" أجهشت ريهان بالبكاء، بينما جاهد يوسف ليتمالك ما تبقى من أعصابه ثم قال منفعلًا:

- "وما الحل إذا؟!"

نظر إليه دون أن يعقب بحرف، فأخفض يوسف رأسه ناظرًا إلى الأرض في أسف وقد أدرك أنه ليس هناك حل من الأساس، ستكون النهاية لا محالة!

شعر بقدميه لا يقويان على الوقوف فألقى بجسده على الأرض جالساً وقد خارت قواه في مزيج من اليأس والاستسلام، ثم ارتفع حاجبيه عندما وقعت عيناه على الكاميرا التي تركها أمجد على الأرض قبل خروجه من الكهف الصغير بصحبة ريهان وقد خطرت بباله فكرة!

فاعتدل واقفاً وسار باتجاهها فحملها ثم قال في حماس:

- "لقد وجدت الحل! سنحاول خداعهم!!!"

نظر إليه برقان في دهشة، فأردف يوسف قائلاً:

- "سأقوم بتشغيل الفيديوها المسجلة على هذه الكاميرا ورفع الصوت إلى الحد الأقصى وستقوم أنت بحملها ووضعها في مكانٍ بعيد، فيقودهم الصوت إلى ذلك المكان، في تلك الأثناء نكون أنا وريهان في طريقنا نحو المخرج، كل ما نحتاجه هو بضع دقائق ركضاً للوصول إلى هناك، وأنا قد وضعت أكثر من علامة على جدران الأنفاق سترشدنا إلى الطريق الصحيح"

قال برقان في هدوء:

- "فكرة لا بأس بها ولكنها غير مضمونه على الإطلاق! لا أحد يمكنه توقع ماذا سيفعلون"

- "ليس أمامنا خيار آخر سوى المحاولة في كل الأحوال نحن على وشك الموت"
- "فلتشغل ذلك الشيء إذن!"

قبل أن يشغل يوسف الكاميرا التفت نحو ريهان التي كانت في حالة يرثى لها،
وأمسك بذراعها يشدها ليساعدها على النهوض، ثم قال لها في جدية بالغة:
- "ريهان! أرجوكي تماسكي لم أعهدكِ ضعيفةً هكذا، إنها فرصتنا الوحيدة للخروج
من هنا أحياء والنجاة بأرواحنا، أريدك أن تركضي خلفي بأقصى سرعتك مهما
حدث!"

نظرت إليه ريهان بعينيها الباكيتين نظرةً تشي بالذعر الذي يعصف بها بلا رحمة،
ثم هزت رأسها موافقةً على ما قاله، زفر يوسف في توتر بالغ ثم ضغط زر سيقوم
بتشغيل جميع الفيديوهاات الموجودة على الكاميرا تبعاً، ورفع الصوت إلى الحد
الأقصى ثم أعطاها لبرقان الذي اختفى من أمامهما في ثوانٍ، ثم أطلق العنان لقدميه
راكضاً بلا توقف تتبعه ريهان، ظلاً ينتقلان من نفقٍ إلى الآخر مسترشدين
بالعلامات التي حفرها يوسف على الجدران، حتى وصلا إلى الحلقة المثبتة فيها
الحبال، أمسك يوسف بطرف الحبل الأول وهو يجاهد ليلتقط أنفاسه المتلاحقة بعد ما
بذله من مجهودٍ في الركض المتواصل، ثبته جيداً في الحلقة المثبتة على الحزام
الذي ترتديه ريهان، وما أن تركه حتى قام الحبل بسحبها للأعلى، وبيدٍ مرتجفة
أمسك بطرف حبلٍ آخر وثبته في حزامه وترك يده ليسحبه الحبل بسرعة نحو
الأعلى هو الآخر، ثم فجأةً توقف حبل ريهان عن سحبها للأعلى، فانتابتها حالةٌ من
الجنون وظلت تصرخ بشكل هيسيتيري، صاح يوسف في هلع وحبله لا يزال يسحبه
بسرعه وقد تجاوز ريهان بما يقارب المتر ونصف:
- "ريهان! توقفي عن الصراخ أرجوكي سأسحبكِ حينما أصل للأعلى!"

حاول النظر إلى ريهان مراراً ليطمئن عليها لكنه لم يتمكن من ذلك بسبب الدوار
الشديد الذي كان يشعر به كلما أراد خفض رأسه للأسفل، مضت بضع دقائق من
الصمت وقلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه كلما خطر بباله ما يمكن أن تكون قد
تعرضت له ريهان، لم يصدق عينيه حينما وجد نفسه على حافة الحفرة أخيراً،
تشبث جيداً بحافتها بكلتا يديه ثم دفع بنفسه خارجها ليقع على الأرض وهو في حالة
من الإعياء الشديد، لكنه لم يضيع ثانيةً واحدة في التقاط أنفاسه، ثم وقف ثواني ينظر

لبكرات الحبال المثبتة على أطراف الحفرة قبل أن يهرع نحو أحدها حينما أدرك أنه الحبل الذي يحمل ريهان، ظل يحاول تشغيل البكرة حتى عادت لسحب الحبل تلقائياً، وكل ذرة في كيانه ترتجف بلا هوادة في انتظار وصولها، لكنه صرخ صرخةً مجلجلة ارتج صداها في أرجاء المكان من حوله حينما رأى طرف الحبل فارغاً! انتابته حالة من الانهيار والبكاء الهستيري، فوجد نفسه يركض وسط الصحراء بلا هدى تنتابه حالة من الهذيان الشديد فأصبح لا يميز الحقيقة من الخيال من هول ما عاشه حتى سقط مغشياً عليه!!!

أنهى يوسف حديثه مع الحاج خليفة الذي كان ينصت إليه في دهشة ممزوجة بالحيرة والإشفاق عليه من هول ما عاشه إن كان حقيقياً، بينما دخل يوسف في وصلة من البكاء الحار مع ذلك الألم الذي اعتصر قلبه حينما تذكر رفاقه وما لقوه في تلك الحفرة، وخصوصاً ريهان التي شعر بالذنب الشديد لما أصابها ولم يتوقف عن لوم نفسه لإخفاقه في إنقاذها، ثم نظر إلى الحاج خليفة وقال في توسل:
-"أرجوك لا تخبر أحداً بما أخبرتك به، لا أريد أن أكون سبباً في ذهاب أحدٍ إلى هناك وهلاكه"

ابتسم الحاج خليفة ابتسامةً دافئة وطمأنه قائلاً:

-"لا تقلق يا ولدي بالطبع لن أفعل، لكل عالم أسرارهِ وكشف السر له ثمن قد يكون أغلى مما نتصور، حمداً لله على خروجك من هناك سالماً وأعانك الله على تلك الذكريات التي ستظل عالقةً في ذهنك ما حييت"

قطع حديثهما صوت جلبةٍ شديدة قادمة من الخارج، ثم دخل شاب الغرفة وقال في انفعالٍ بالغ:

-"لقد وجدنا فتاةً بين الحياة والموت عند أطراف القرية يقول أحدهم أنه رأى بجوارها شخص لكنه اختفى قبل وصولهم إليها"

تبادل الحاج خليفة مع يوسف نظرةً تحمل الكثير من المعاني قبل أن يصرخ الأخير فرحاً ويخرج راكضاً وهو ينادي بأعلى صوته:

- ريهالان!!!!"

تمت

